ISSN 1999 - 8716

مجلة ديالى
للعلوم الهندسية

المجلد الخامس، العدد الأول، صفحات البحث (٩-٣٢) ، حزيران ٢٠١٢

تحديد ملامح الهوية المعمارية من منظور بيئوي

م.د. عمر حازم خروفة

جامعة الموصل – كلية الهندسة – قسم الهندسة المعمارية

E-mail:- omarkharruffa@yahoo.com

(الاستلام:-٢٦/١٠/٢٠١٠ ، القبول:-٣/١٠/٢٠١١)

الخلاصة

العمارة شأنها شأن باقي الحقول الأخرى لم تكن منعزلة عن حياة الناس وتطلعاتهم وتوجهاتهم على اختلاف مستوياتهم وثقافاتهم، فهي تحتل موقعا" مميزا" في هذا المجال نظرا" لعلاقتها المباشرة بحياة أفراد المجتمع، فنمت وازدهرت في مناطق مختلفة من العالم، وقامت وتطورت وفق أسس ومفاهيم تم اعتمادها عبر عصور مختلفة ومتعاقبة، وباعتبار العمارة نتاجا" حضاريا" مميزا" له ارتباطه المباشر بالبيئة فأنه يمكن التعامل معها كمعّبر صادق عن ماهية التفاعل الحضاري بين الأمم، هذا التفاعل الذي أغنى الإنسانية بما تركه من نتاجات مبدعة في ميادين شتى.

لقد ركّز البحث على مشكلة: " عدم وضوح آليات تحديد ملامح الهوية المعمارية بالرجوع إلى اعتبارات البيئة "، وحّدد هدفا" واضحا" ارتبط بالمشكلة وتناول: "وضع آليات لتحديد ملامح الهوية المعمارية وفق اعتبارات البيئة "، ولقد كان البحث ساعيا" إلى تحقيق هذا الهدف، وتم ذلك من خلال التعرض لمفهوم الهوية وما يرتبط به من مفردات تؤثر في الهوية المعمارية وصولا إلى تحديد علاقة الهوية بالبيئة باعتبارها تمثل عاملا له تأثيره المميز في هذا المجال، كذلك فقد تعرض البحث إلى تجربة العمارة الإسلامية وكيف أنها أنتجت عمارة متفاعلة مع البيئة أظهرت هويتها من خلال هذا التفاعل، وتوضح ذلك عن طريق استعراض وتحليل نماذج منتخبة وفق منهج محدد، وظهرت أهمية هذا الجانب من خلال الاستنتاجات النهائية التي تعلقت بتحقيق هدف البحث وكونت صورة واضحة عن التفاعل الحضاري الذي أنتجه الحوار بين الأمم عبر العصور وكيف ساهم بشكل واضح في تحديد ملامح الهوية وفق اعتبارات البيئة لكل منطقة أو إقليم.

الكلمات المفتاحية:- الهوية المعمارية – البيئة المعمارية – التفاعل الحضاري.

المقدمة

تتداخل الأمم والشعوب بعضها مع بعض فتأخذ الواحدة من الأخرى بعضا من عطاءآتها الحضارية والعمرانية، وقد كان لانتشار المعرفة وتقدم العلم والعمران في جميع المجالات وارتباطها بمعالم الحضارات المختلفة أثر في تطور العمارة بشكل أكسبها صفات محددة ومظاهر مركبة تعاملت من خلالها مع الحضارات الأخرى ضمن حدود الأطر الزمانية والمكانية، وتم هذا التمازج من خلال مفاهيم متعددة وبأساليب وصور مختلفة.

يتناول هذا البحث بالنقد والتحليل " أسس تحديد ملامح الهوية المعمارية من منطلق بيئوي "، إذ أثرت البيئة في أنماط العمارة وأنتجت من خلال مركباتها المختلفة طرزا ونماذج معمارية في مناطق مختلفة من العالم تبادلت التأثير فيما بينها

من خلال جسور من المعرفة التي امتدت بين الحضارات لتعطي في النهاية هوية معمارية مميزة لكل منطقة أو إقليم بحسب ما تقتضيه عوامل البيئة الجغرافية فضلا عن باقي المؤثرات الاجتماعية والاقتصادية الأخرى.

ومن هنا ولتأشير مقومات تحديد ملامح الهوية المعمارية كان لابد من التطرق إلى جوانب ذات صلة مباشرة في صياغة الهوية وفي مقدمتها التفاعل الحضاري الذي أنتج حوارا متبادلا بين الحضارات، فتطرق البحث إلى ماهية هذا الحوار ثم الخوض في خصائصه وكيف تصاغ الهوية من خلاله فكان اختيار العمارة الإسلامية كدليل مادي على الحضارة الإسلامية لقياس أسلوب تحديد ملامح الهوية المعمارية من خلال البيئة .

لقد خلص البحث إلى أن أية امة من الأمم لا يمكن لها مهما بلغت من الرقي الحضاري أن تقدم نتاجا نقيا خالصا منعزلا بشكل تام عن المحيط الخارجي، بمعنى أنها لا يمكن لها أن تبقى على قيد الحياة ما لم تتداخل وتتفاعل لتصوغ من خلال هذا التفاعل هويتها المميزة وتقدمها هدية للإنسانية عبر العصور دونما تجاوز على ثوابت البيئة واعتباراتها المختلفة.

التفاعل الحضاري – الماهيّة والخصائص

الحضارة هي ("جملة المظاهر المعنوية التي يخلّفها التأريخ والتي تبقى في المجتمع على مر الأيام دليلا" على القدرات الذهنيّة المميزة وتعبيرا" عن روح هذا المجتمع والشعب الذي يمثله والبيئة التي ينمو هذا المجتمع ويسود فيها")، وتتشكل المظاهر المعنوية في صور مختلفة كالفنون والآداب والعلوم والمعارف ومجموع ما ينتج ذلك كله من تسجيلات ومشاهد في الآثار والعمائر وأسلوب الحياة وآداب المعاش اليومي وتقاليد المجتمع في التقارب والتفاهم والتعايش[١]. ولم تكن المراكز الحضارية في العالم القديم معزولة بعضها عن البعض، فلقد بدأت بواكير التفاعل منذ زمن بعيد وحققت قفزة نوعية في ذلك الحوار الفلسفي المستمر بين حضارات الشرق القديمة وحضارة اليونان فأثمرت هذه العلاقة مزيجا" رائعا" يتجه إلىالتراث كما يتعامل مع منجزات الحضارات الأخرى ويتأثر بالبيئة وتداعياتها من حين لآخر، ومن البديهي القول بأن عوامل مساعدة عديدة ساهمت في صياغة وتحقيق هذا التفاعل فالأحداث السياسية كان لها الأثر المباشر في قيامه وبشكل خاص في منطقة المشرق العربي إذ مثّلت هذه المنطقة بحق قناة النقل والفعل الحضاري الفلسفي شرقا" وغربا" فهي المنطقة التي تمسك بطرفي معادلة الحوار الفلسفي الحضاري من الوسط (المركز) بشكل يفسر وجود صلات مع اليونان منذ القرن السابع قبل الميلاد هذا ناهيك عن الصلة غير المباشرة عن طريق الحيثيين والساحل الشامي ومصر، وبفضل هذه العلاقة (الوثيقة) تسرّبت العناصر الفلسفية باتجاه البيئة اليونانية لتوفر عاملي(الدفع والجذب) اللذان تحتاجهما كل عملية (انتقال وهجرة) من أي نمط كانت، وان التأثير الفلسفي الشرقي على الإغريق لم يعد حقيقة يتحدث عنها أبناء الشرق – في ضوء المنهج التحليلي والتاريخي المقارن – وحسب بل هي حقيقة أدركها العديد من اليونانيين مثل (هيرودوت وأفلاطون وأرسطو) وغيرهم من القدماء مثلما التفت إليها العديد من الغربيين المعاصرين، ومهما يكن حجم هذا التأثير، فبإمكاننا فحص منطوياته الشرقية بدءا" من ميدان العقائد والملاحم والمأثورات الشعبية – وفق مبدأ الحوار الفلسفي – وصولا" إلى الفلسفة والفلاسفة والجوانب الأخرى وفي مقدمتها البيئة[٢].

إن الحوار الحضاري الذي فرض نفسه من خلال الحقائق المستقرأة والمكتشفة والذي دار بين مواطن الحضارة (شرقية وغربية) وفق وسائلهم العلمية والفلسفية التي تعجز عقولنا في القرن العشرين عن تصّور سحرها وكيفية انتقالها – بسبب ثقل ما نحمله عن تلك العصور ! من أحكام غير موضوعية ! – قد أثبت أن الفلسفة والعلوم والفنون لم تكن من مبتكرات أمّة دون أخرى ولا بيئة دون غيرها، وأن الفلسفة بالذات مثّلت فعلا" واعيا" دعت إليه (الدهشة) ودفع إليه (حب الاستطلاع) فسعى الإنسان بدوره (يعلّل) الظواهر والحوادث المحيطة به ليتخذ إزاءها (موقفا") معيّنا"[٣].

ومن خلال ذلك، يمكن القول بأن التفاعل الحضاري لا تظهر آثاره من خلال الشواهد الملموسة والمحسوسة فحسب، بل هو بصمات واضحة تتركها الحضارات فيما بينها لتظهر آثارها متوافقة مع البيئة ولو بعد حين.

جدلية الأنا والآخر

لابدّ في البدء أن نطرح الأسئلة الآتية: ما الأنا، وما ألآخر، وما الجدلية التي بينها، وما علاقتهما بالبيئة ؟ فالجدل ليس شيئا" مرتبا" أو عقيما"، وقد يجده الكثيرون قدرة نظرية فيها المرونة والفوائد، وهو دليل على الصحة وتحقيق للحقيقة، ويقول (هيجل) ما مفاده ("الجدل قانون مكوّن للفكر، والفكر من حيث هو فهم ينفي وينقض ذاته بذاته، وعلى الفكرة أن تستمر في تعيين نفسها بنفسها حتى تصل إلى استقلالها الذاتي دون أن يصل المفهوم إلى شيء جديد، ومع أن التعيين الأخير يلاقي الأول في وحدة ، لكن انشطار المفهوم في وجوده إنما هو ظاهر ينكشف ظاهرا" في التقدم مادامت كل الخصائص تعود في النهاية إلى مفهوم كلي")، ولقد كان القدامى يركّزون على الجدل علما " بل فرعا" من المنطقيات كما رسمه (أرسطو) وهو قد قصد به "طريقا" يتهيأ لنا به أن نعمل مقدمات ذائعة قياسا" في كل مسألة تقصد، وان نكوّن – إذا أجبنا جوابا" – لم نأت فيه بشيء مضاد "، وبعد تحديد القياس وأصنافه، يمكن الوصول إلى القياس الجدلي، والقياس في منطقيات
(أرسطو) قول إذا وضعت فيه أشياء لزم من تلك الأشياء الموضوعة شيء آخر غيرها من الاضطرار، فالبرهان هو ("القياس الذي يكون من مقدمات صادقة أولية، أو من مقدمات يكون مبدأ المعرفة بها قد حصل من مقدمات أولية صادقة")، ويحدد (أرسطو) القياس الجدلي على أنه ("ذلك القياس الذي ينتج من مقدمات ذائعة")، ويشرح المقدمات الذائعة على أنها (" تلك التي يظنّها جميع الناس أو أكثرهم أو جماعة الفلاسفة أو أكثرهم أو المشهورون منهم والذين في غاية النباهة")، أما الفائدة التي يراها (أرسطو) من الجدل فهي الانتفاع به في ثلاثة أشياء: في الرياضة، وفي المناظرة، وفي علوم الفلسفة[٤].

إذن لابد لنا من التعّرف على (الأنا) و (الآخر) وتعريف العلاقة الجدلية بينهما.

ما هو الـ (أنا) ؟

إن عالم اليوم لا تحكمه الأفكار العقلانية فقط وإنما الأفكار العاطفية والادراكات الزائفة أيضا"، ولا تتحكم في علاقات أفراد المجتمعات المختلفة التصورات والصور الواقعية الصائبة فحسب وإنما – بالقدر نفسه – تلك المغلوطة المشوّهة أيضا"، وإن النظرة إلى (الذات) تظل محكومة بالبحث عن (المقابل) ولا تتبلور الهوية من خلال عناصرها الذاتية إنما من خلال اكتشاف (مقابل) وتحديده، وتحاول تمييز نفسها عنه، فالهوية وحدة اجتماعية نفسية متكاملة لا تقبل التجزئة والتوزع والتفتيت، ولكن (الأنا) و (الآخر) قد يلتقيان في رباط الدين أو في التراث والتأريخ واللغة أو في شكليات اجتماعية، أو قد لا يوجد التقاء في أي شيء[٥]. ويوضح (فارّو) أن هذا (الأنا) هو اختراع تأريخي، وأن وجود (الأنا) هو شرط رئيسي لابد منه – إن لم يكن هو الوحيد – لوجود (الآخر)[٦].

إن رؤية (الأنا) في مرآة (الآخر) ورؤية (الآخر) في مرآة (الأنا) ليس خروجا على الموضوعية أو تحيزا أو هوى، فالحق مقياس للحكم وكذلك الاستحسان والعقل، و (الأنا)قد يمثل إطارا جغرافيا لـ
(الآخر)، وقد يكون مرجعا تاريخيا له، ثم يمكن لـ (الأنا) و (الآخر) أن يظهرا سوية في المرآة الاجتماعية، وقد يظهر التقابل في (الأنا) و (الآخر) في العلوم، علوم الدين وعلوم الدنيا، ولقد تفوقت (الأنا) في علوم الدين في حين تفوق (الآخر) في علوم الدنيا وفق المنظور الإسلامي لهذين المصطلحين، (الأنا) صاحب العلوم الشرعية و (الآخر) صاحب العلوم الدنيوية، وإذا كان سبب قوة
(الآخر) هو العلوم الدنيوية فأن سبب ضعف (الأنا) هو ضياع هذه العلوم[٧].

إذن ومن خلال ما سبق تظهر لنا صورة (الأنا) من خلال كونه يمثل تعبيرا عن ذاتية كامنة بإمكانها أن تتفاعل وتتداخل لتظهر من خلال مقابلات تتمثل بـ (الآخر)، وان من الصعوبة بمكان أن يبقى (الأنا) في عزلة تامة، بل تبقى

له إمكانية التواصل متكيفا مع الظروف ومهيئا لنفسه مكانا في هذه الحياة يتكامل مع البيئة ويتحرك ضمن جزئياتها بحسب حاجته.

ما هو الـ (آخر) ؟

قد يكون لكل (آخر) تعريف خاص يوليه إليه من كان له به شأن، فقد يكون (الآخر) ذو معالم كثيفة (حادة) يتحول فيها غالبا" إلى مادة لقضية يستغني العديدين عن حياتهم من أجلها لتهدئة سطوته أو للتصدي له، بل أحيانا" لإفنائه، ولكن بقليل من المداراة والابتعاد عن مناطق الاصطدام هذه نلاقي هذا (الآخر) نفسه وقد اعترته مفارقتان، واحدة تكمن في نسبية ماهيته المتعارضة تماما" مع زعمه الكوني، والأخرى تقوم على أنه بمجرد حصول الوعي بكينونة (الآخر) ترسو قلّة إلمام به، فهل أن الآخر هو ضرورة ؟ فمن جهة هو يملي وظيفتين ملحّتين، هما بلورة الهوية وتنظيم الخصومة، ولكن التساؤل من جهة أخرى بقي مشرّعا" على تناقض بين هذا (الآخر) بمفارقتيه ووظيفتيه، وبين التعويل على المعرفة المطابقة وعلى أشكال التسامح المختلفة لتخفيف حدّة الصلة القائمة مع (الآخر)[٨].

تتعلق بعض المتغيرات التي تؤثر في عملية التفاعل الاجتماعي بخصائص الأفراد المعنيين بالأمر، ويتعلق بعضها بالبيئة المحيطة، ولعل من هذه المتغيرات المهمة ما يتعلق بالصور التي ترسمها أطراف عملية التفاعل الاجتماعي للآخرين، فـ (للآخر) حضور دائم عند الذات في جميع مراحل الحياة، وكما يؤكد علماء النفس فان حضور (الآخر) ليس شيئا" عارضا"، إلا أن (الآخر) في الوقت نفسه ليس شيئا" ثابتا" باستمرار بل تتغير خصائصه بتغير الظروف والمواقع[٩].

ومن خلال ذلك، فأن الـ (آخر) هو مكمل لـ (الأنا) يتواصل معه بحسب ظروفه لينتج نوعا مميزا من التفاعل البناء الذي يقوده حتما إلى تعريف هويته وتحديد ملامحه، فبدون الـ (آخر) لا وجود لـ (الأنا) والعكس صحيح.

كيف نحصل على الهوية المعمارية ؟

سيبقى السؤال الخاص بالهوية مثار جدل ومناقشات ساخنة، والسبب في هذا المجال يخص طبيعة التطور ومتغيرات العصر، فإذا كانت هناك حضارات قديمة ما تزال تحافظ على طابعها الوطني – القومي من خلال نتاجاتها الماثلة للعيان، فأن التيارات الحديثة تكاد تعالج مشكلة (الأصالة) من زاوية مختلفة كليا"، على أننا في الحالتين لا نستطيع إلغاء التراكم الحضاري ودور التأريخ في عملية التأكيد على الشخصية وأبعادها الداخلية، فالحداثة لم تفلح في الخروج من التأريخ، وهنا تتجلى سلطة التقاليد ورسوخها انطلاقا" من عوامل التكوين وأهداف الحضارة، وان المغزى الأبعد لمكّونات الهوية يرتبط بعناصر متعددة كلتأريخ والجغرافية والمعتقدات واللغة، وبالتالي لن تتهّدد الهوية إلا عندما تتهدّد المكّونات الأساسية وهكذا تتبلور الحضارة، فالهوية نتاج حضارة متكاملة الأبعاد، ولكن معنى الهوية أبعد من ذلك بكل تأكيد، ولعل أوّل ما يلفت نظرنا في هذا الجانب هو البعد السياسي، أي السبب المباشر للأنقطاعات الحضارية التي تحصل، وان الحديث عن الهوية المعمارية له صلة بالمحتوى الحضاري وجودة ونوع الأفكار للمجتمع، ثم بأخلاقية تلك الأفكار ومدى تأثرها بالبيئة، وان الهوية هي حقيقة الأشياء وأصالتها وتكاملها وعمقها الإنساني أو كينونتها[١٠].

إن الهوية في العمارة هي تعبير صادق عن البيئة والمجتمع كما هو حال الهوية المعمارية الإسلامية، وحيث أن العالم الغربي يعتمد على أنظمته الاقتصادية والسياسية والدينية في تحديد معالم هويته، فقد بلور المسلمون هويتهم بتفعيل كل تلك الأنظمة وأضافوا إليها عامل البيئة، فجاءت متكاملة منهجها التشريع وركيزتها قوة المجتمع وتماسكه اجتماعيا واقتصاديا

وسياسيا، ومتى ما اتضحت هذه الحقيقة يبرز دور البيئة في صقل هذه الهوية وإغنائها ومدّها بكل أسباب الديمومة والتواصل[١١].

واليوم، في عالم الألفية الثالثة، بعد أن غرّبت الكثير من الشعوب عن هويتها، يجد المجتمع نفسه في عالم يتقارب إنسانه عبر وسائل الاتصال الحديثة، وتوشك أن تصبح الرحلات الفضائية في متناوله، وقد أدخلت التكنولوجيا ضمن مجمل جوانب حياته، لكن هذا كله لم يمنعه من الإحساس بالتشتت والتمزق ولم يحمه من العنف والاستبداد الذي يواجهه يوميا" في أنحاء شتى من الأرض.

الهوية المعمارية من خلال العقل والأخلاق

يطرح موضوع الهوية من خلال العقل والأخلاق معضلة قديمة للفكر، وقد تكون مفتعلة، ليس بمعنى عدم قيامها وواقعيتها، بل لأنها مرتكزة أساسا" إلى تصنيف هو الذي أولدها ويبقيها، وهذا ما يعرف بالثنائية، ولدينا في توضيح مشكلة العقل والأخلاق طرحان اثنان، فقد قال(أفلاطون) بالمثل، وركّزها أخيرا" في الخير، وكان (أرسطو) قد أكد على العقل عادّا" إياه مختلفا" عن الإحساس، وميّز بين العقل والعقل الفعّال، فالأول هو المادة التي هي بالقوة، بل هو قوة بحتة، والثاني السبب ألفاعلي، وهو الذي يتقبل المعقولات أو الصور الكلية المجردة، إن الفلاسفة قد فرضوا على العقل ما لم يفرضه العقل عليهم، ومن خلال التعامل مع العقل تتضح الهوية الحضارية التي هي في مفهوم الحضارة تعبير عن الذات، وقبول بـ (الآخر) كما هو، ومحاولة الإنماء الذاتي بفصل ما في (الآخر) من قيم روحية، مادية، إنسانية، فيكون الإنماء محصلة جماعية لا أنانية فيه، ويتطور بقدر ما تتسع حلقة الاتصال ويعمق مداه، وتمتد ضمنه تطلعات الفرد المستنير والمحب فيأتي بإبداعات بل معجزات حقيقية هي التي تصنع للحضارة تطورها وتساهم في ترسيخها وتولّد عنها نتاجات مبدعة كانعكاسات مادية مثل شواخص العمارة وغيرها[١٢].

إن عقد مقارنة لدور التقاليد الاجتماعية المحكومة بأخلاقيات معينة في صياغة الهوية وتحديدها مع المثل والقيم العقلية لأفراد المجتمع ثم ربطها مع البيئة التي يتحرك ضمنها أفراد ذلك المجتمع، ستقودنا إلى إبراز عدة وسائل نتمكن بواسطتها من إقامة نظام معين له ذاتيته المتفردة التي يعبر عنها بهويته في خضم الفوضى التي نعيشها في عالمنا اليوم وما نلمسه من واقع متغير يحمل سمة التجديد تارة والدعوة إلى التواصل مع التاريخ تارة أخرى، ونحن من خلال ذلك نستطيع بشيء من المنطق توقع مجريات الأمور وفق صيغ استقرائية حددتها معالم الهوية ورتبت مفرداتها وانعكست ملموسة في نتاجات مجتمعاتنا المادية ضمن مدننا وحواضرنا، وإذا كانت النظريات في الفكر العلمي تستمد أهميتها من أنها عرضة للنقد والتغيير، فأن للتقاليد أيضا أهمية ووظيفة مزدوجة وفق المنهج العقلي الأخلاقي، فهي لا تقيم نظاما معينا أو نسقا اجتماعيا فحسب، بل أنها تزودنا بأشياء أساسية نعمل بموجبها أمورا يمكننا نقدها وإبدالها دونما تجاوز على ثوابت ذلك النظام وأخلاقياته التي تعكسها هويته[١٣].

لقد أفرز موضوع الهوية المعمارية من خلال العقل والأخلاق مسألتين أساسيتين، الأولى ارتبطت بالقيم الروحية والثوابت الإنسانية التي لا غنى عنها ضمن أي مجال يرتبط بالإنسان ومسؤوليته الأخلاقية في إعمار الأرض وما أقرب العمارة من هذا الأمر، في حين تناولت المسألة الثانية النظم العقلية ودور أبناء المجتمع من خلال عاداتهم وتقاليدهم في إقامة وتشكيل نظام اجتماعي تصاغ من خلاله الهوية ضمن منطق العقل والأخلاق وحدود تأثير المحيط المكاني (الفيزياوي) بتداعياته المختلفة.

الهوية المعمارية في جدلية التراث والحداثة

مما لاشك فيه أن الاتجاهات الفكرية والمذهبية كثيرا" ما تتلبّس مفردات معينة تتوجس فيها إشعاعا" معنويا" كثيفا" فتدفع فيها نحو مضامين خاصة تضيف إلى رصيدها المعجمي وتراثها الدلالي إضافات جديدة غير معهودة، لكن الأمر لا يتوقف في لحداثة عند هذا الحد بل يتجاوزه إلى درجة أصبحت فيها لفرط ما استهلكت جرّاء استعمالها تأخذ مأخذ المشترك اللفظي أو تحمل على حكم معياري تقييمي سلبا" أو إيجابا"، فتساق في نسق إعلامي ترويجي محمول على بعد ثوري قد يستهجن به دعاة الثورية أحيانا"، وتلبس تارة لبوس التطوير في التغيير الاجتماعي والتقدم العلمي، وتلتصق – تارة أخرى – بفكرة الضلالة والمروق في الخطاب الديني، كما يشار بها إلى الإبداع في الفن والأدب، والى التقاليع في حيز الإشارة إلى المدنية والسلوك (الموضة) والى الابتكار في التطبيق العملي (التكنولوجي) التقني، ويقصد فيما ترمي إليه اللفظة حدّ زماني فيزيائي يرتبط بفاصل تأريخي عند الكلام عن حدث معّين[١٤].

يلاحظ أن العمارة تشمل كافة الجوانب السابقة ضمن صيغ الإبداع ومواكبة ما هو سائد فضلا عن التطبيق العملي (التقني)، وصولا إلى الفاصل التاريخي وما يتركه من بصمات، ومجمل ما سبق هو تبني لمفهوم الحداثة بأسلوب يمكن للعمارة احتواؤه والتعامل معه.

إن الحاجة الإنسانية إلى الكشف عن هوية تبدو عبر الاحتكاك بـ (الآخر)، وهذه الحاجة قديمة متشعبة التعبير، لكن ما يجمعها هو سلبيتها، فالعين تحتاج إلى الضد بغية رسم ملامحه، والعالم الجديد لم يستقر بعد على المنظومة الفكرية التي تسمح له بتعيين (آخره) تعيينا" مقنعا"[١٥].

إن الحداثة لا تمثل موقفا" فرديا" إلا من حيث ارتباطها بانبثاق روح النقد والإبداع داخل ثقافة ما، وهي ليست موقفا" فرديا" انعزاليا"، وليست انكفاء" على الذات، والحداثة على الرغم من الأهمية التي تعطيها للفرد كقيمة في ذاته ليست من أجل ذاتها بل هي دوما" من أجل غيرها، من أجل عموم الثقافة التي تنبثق فيها، ومن أجل خصوصية البيئة التي تزدهر ضمنها، والحداثة من أجل الحداثة لا معنى لها، الحداثة رسالة ونزوع نحو التحديث، تحديث الذهنية، تحديث المعايير العقلية والوجدانية، وعندما تكون الثقافة السائدة ثقافة تراثية فأن خطاب الحداثة فيها يجب أن يتجه أولا" وقبل كل شيء إلى التراث بهدف إعادة قراءة وتقديم رؤية عصرية عنه، واتجاه الحداثة بخطابها، بمنهجيتها ورؤاها إلى التراث وهو في هذه الحالة اتجاه بالخطاب الحداثوي إلى القطّاع الأوسع من المثقفين والمتعلمين، بل إلى عموم الشعب، وبذلك تؤدي رسالتها، أما التقوقع في فردية نرجسية فأنه يؤدي حتما" إلى غربة تدميرية، إلى التهميش الذاتي، والحداثة لا تعني رفض التراث ولا القطيعة مع الماضي بقدر ما تعني الارتفاع بطريقة التعامل مع التراث إلى مستوى ما نسميه بـ (المعاصرة)، أي مواكبة التقدم الحاصل على المستوى العالمي[١٦].

إن الإنسان في العصر الحاضر يهتم بما يؤثر في حياته تأثيرا" مباشرا"، وهو إذا ارتبط بالتراث فإنما يرتبط به ارتباطا" ثانويا"، ومن هنا تظهر أهمية تسليط الأضواء على علاقة الإنسان في الحاضر بتراث الماضي، هذه العلاقة التي قامت على أساس النقد البنّاء أمكن لها أن تزيد من الوعي الذاتي، ومكّنت الفرد من التحرر الفكري ومن الوعي بالهوية، فليس المقصود بالاستقبال أن يتلقى إنسان اليوم تراث الماضي ويعتبره مناسبا" للحاضر وان الزمن لم يغير منه شيئا"، فليس من الممكن أن يتكرر شيء إذا تغيرت الظروف المحيطة، ولكننا يجب أن نبحث عن الصورة الحاضرة المناسبة، وقد نجد أنها تحتاج إلى إصلاح أو تعديل أو تطوير دونما تجاوز على بديهيات الدين والعقل والمنطق[١٧].

يتضح مما سبق أن الهوية التي يجسدها التراث تبقى محافظة على بعض خصائصها (إن لم يكن على مجمل تلك الخصائص) ضمن إطار الحداثة، فالحداثة ببعدها الإنساني هي تعبير حي عن التراث، وإن انسلخت عنه في قسم من

توجهاتها، والتراث لا يسمى تراثا إن لم يترك بصماته واضحة المعالم لتنعكس في الهوية التي تتبنى توجه الحداثة لأي مجتمع من المجتمعات الإنسانية.

الهوية المعمارية في إشكالية الأصالة والمعاصرة

في إطار الحديث عن هذه الإشكالية لابد لنا من العودة إلى موضوع التراث، وهنا يمكن القول إن الذين هم ضد التراث واهمون، لأن إلغاء التراث لا يمكن أن يتم إلا بتحقيقه، والذين يطالبون بتحقيق التراث واهمون أيضا"، لأن تحقيق التراث لا يتم إلا بإلغائه، وان التراث هو مرآة ترى فيه الأمة تحقيق الممكن، وبعبارة أخرى هو تصور ارتدادي لما ينبغي أن يكون، يسقد قوته مما خلفّه الأجداد، والمتمسكون بالتراث لا يتمسكون به لمجرد أنه تراث الآباء بل لأنهم يقرؤون فيه ما ينبغي أن يكون، انه قراءة للمستقبل في صورة الماضي، وهو طموح لتحقيق ما أخفق الآباء والأجداد في تحقيقه كلا" أو بعضا"، مع تصور أنهم حققوا ذلك فعلا" على أحسن صورة، والذين يلغون التراث أو ينادون بإلغائه إنما يلغون هذه الصورة النموذجية التي يعبّر فيها قسم من الأمة عن مطامح الأمة ككل، الأمة المتخلفة المستغلة داخليا" وخارجيا"، وهنا يكمن الخطأ، فإلغاء هذه الصورة النموذجية، وبعبارة أخرى إلغاء نوع من التعبير عن مطامح الأمة في النهضة والتقدم لا يمكن أن يتم إلا بتحقيقها، ولكن تحقيق التراث – والكلام كله حول التراث لأنه حوله تتمحور فكرة الأصالة والمعاصرة – لا يمكن أن يتم إلا بإلغائه، أي بتجاوزه، والتجاوز هنا لا يعني التخطي أو القفز من فوق، بل الاحتفاظ والنفي، وبعبارة أخرى إن تحقيق التراث يتطلب عدم التقوقع فيه والوقوف عنده، بل تطويره وتطويعه بالشكل الذي يسمح بتحقيقه على ضوء متطلبات العصر وظروفه، انه النزول من (ميدان العقل) إلى (ميدان الواقع)، من التصور النموذجي المثالي إلى التطور التاريخي، والخطوة الأولى في هذا الطريق هي إعادة قراءة التراث نفسه، إعادة تقييمه على ضوء الواقع الذي أنتجه، لابد إذن من التأريخ، بل لابد من إعادة بناء التأريخ، وبعبارة أخرى لابد من تصحيح وعينا بالتأريخ، وهنا فقط تتبلور الهوية من خلال الأصالة والمعاصرة[١٨].

من جانب آخر فمن خلال العمارة تبدو العلاقة بين الأصالة والمعاصرة كما في الكثير من الإبداعات الإنسانية واضحة، ويتجلى تعقيد هذه العلاقة في كون العمارة فن وظيفي يقدم فرصة لممارسة الأفعال الحياتية اليومية للإنسان، وهذه الحقيقة تتعرض لحالات من التبسيط أو التعقيد بسبب تأثير التطور الحضاري في أسلوب ممارسة الإنسان لفعالياته اليومية، وان العلاقة بين الكائنات المعمارية القديمة (التراثية) والكائنات المعمارية الجديدة، هي ليست علاقة مباشرة دونما وسيط هو الوعي الإنساني الذي يقود العملية الإبداعية في إنتاج الأبنية، ويؤثر في شرعية العلاقة المقترحة بين القديم والحديث من خلال أدلجة تلقي الناس لواقع تلك العلاقة، وهنا تكمن أهمية أن يكون للعمارة هوية[١٩].

في هذا المجال، يقول (معاذ الآلوسي•) بأن: (" صورة جديدة ستظهر مستقبلا" لمدينتنا بدأت بعض معالمها تتوضح، ولا عيب أبدا" في أن تكون لمدينتنا صورة جديدة إلا أن ما نبتغيه في هذه الصورة أن تكون معبرّة عن هويتنا ")، نحن نخشى أن تكون لمدينتنا صورة جديدة، ونشترط في هذه إن ظهرت – وهي ظاهرة لا محالة – أن لا تغترب عن المدينة، بل أن تؤكد هويتها وتقترب من سماتها، تراعي المجتمع وتحترم التراث، وبالتالي تقترب من الإنسان، وان ما يمنح العمارة سماتها هي الفوارق الواسعة في المناخ والظروف الاقتصادية والعادات والتقاليد، وهي فوارق معمارية يجب الاحتفاظ بها لأنها تمنح العمارة هويتها المحلية وتؤكد نزعتها للتكيّف المكاني من أجل الاستعمال الأفضل للأحيزة والتمتع بها من قبل الناس[٢٠].

• هو مهندس معماري عراقي ازدهرت أعماله في مرحلة الستينات والسبعينات من القرن المنصرم وله كتابات مميزة في الدعوة إلى إيجاد نظرة متجددة إزاء التراث.

مما لا شك فيه أ ن لإشكالية الأصالة والمعاصرة تداعياتها المختلفة، وهذه التداعيات تظهر بوضوح في ميدان العمارة خاصة عندما يتعلق الأمر بالهوية وابراز دور مفهوم التراث في استخلاصها، والأمر هنا لا يقف عند هذا الحد بل يتعدى ذلك إلى ضرورة صيانة الهوية والمحافظة عليها (كما جاء في طرح الآلوسي) لأنها ستمثّل التعبير الحقيقي عن فكر المجتمع وقيمه ومبادئه التي حافظ عليها عبر تاريخه الطويل.

الهوية المعمارية من خلال البحث عن رؤى جديدة لخصائص الزمان والمكان

لقد شغل الإنسان بالتفكير في الزمن، وتعددت النظريات والاستنتاجات طبقا لذلك، فالزمان الطبيعي (الفيزيائي) هو إطار الحركة الكونية، وهو مرتبط بحركة الأفلاك والكواكب، صيغ منه نظام معين لتوالي ظواهر الوجود الطبيعي، وفيه تنشأ الأشياء وتتغير، وسرعان ما أرتبط الإنسان والزمن بفكرة العود الأبدي، حيث التقاء البداية والنهاية، ثم طرأ تعديل على فكرة الزمن بعد رسوخ عدد من النظريات، واتضح ارتباط المكان والزمان من الفيزياء المعاصرة، وانه لا مجال للفصل بينها كما كان يظن سابقا"، وارتبط الزمان والمكان بالمادة والحركة واتصل ذلك بالوعي الإنساني بحيث يعتبر الزمان والمكان شرطين مهمين من شروط المعرفة البشرية، وليس بالإمكان عزل التأريخ عن الزمن مهما أعطينا للزمن من مفاهيم وأبعاد، فالإنسان ملقى في الزمن – كما يقول بعض المفكرين – وهو بذلك موجود في التأريخ، بل الإنسان هو التأريخ بعينه، يصيغه ويعيشه ويرزح تحت ثقل دولابه الضخم محاولا" الإفلات حينا" والتحرر حينا" آخر[٢١].

وباعتبار أن الإنسان واحد بالطبيعة والحاجات الحياتية الأساسية فأن النظر إلى العمارة على أنها تعبير عن (الثقافة) في زمن معين هي نظرة تهدف إلى تفسير (الاختلاف) في التعبير المعماري العمراني، ومن خلال هذا التفسير يبرز بعد الهوية جليا"، إذ تصبح العمارة والعمران تجسيد مهم لخصوصية الشعب الذي ينتجها ضمن تلك الحقبة، ولما كان للعمارة والعمران دور جوهري في تحديد إدراكنا وإحساسنا المكاني، لذا فأن لمفهوم الهوية أثر كبير في تحديد طريقة إدراكنا للمحيط العمراني الذي نعيش فيه وأسلوب تعاملنا معه[٢٢]. كذلك فأن إحدى أهم الظواهر المعمارية التي لها مفهوم كلي وتعّبر كما ينبغي عن مفهوم الهوية من خلال البيئة هي ظاهرة المكان، إذ من خلالها يمكن استثمار الحقول المعرفية الأخرى للتوصل إلى بناء نموذج مناسب يحقق الهوية المعمارية ضمن إطار البيئة[٢٣].

ويمكن القول بأن التعامل مع الهوية في ميدان العمارة يثير مسألة أن الشكل المعماري الذي نتحدث عنه ضمن بيئة مكانية أو زمانية معينة لا يعني مطلقا صورة ثابتة منطبعة في الذهن بل هو نظام للشكل، أي أن الشكل ربما تتعدد صوره البصرية ولكن يبقى المعنى المرتبط به حاضرا في الذهن وهو ما يذكرنا بالفكرة التي طرحها (Hirsh – 1982) حول الإطار الضمني الذي عادة ما تحتويه الأشكال للتعريف بنفسها، على أن المشكلة تصبح أكثر تعقيدا في حالة الأشكال المركبة ذات المعنى التاريخي الخاص الذي يتعدد بتنوع الثقافات ضمن بيئة واحدة، فمثلا فتحات النوافذ عنصر من العناصر المعمارية التي تظهر بأنماط مختلفة توحي بدورها سواء في التهوية أو الإضاءة أو التشميس أو صد أشعة الشمس، فلكل منطقة من المناطق ثقافة لها معانيها الخاصة التي أضفتها على الأشكال حتى لو تشابهت هذه الأشكال، بمعنى أن مسألة نمو الهوية تعد قضية تبحث في أصول الأشكال وتطورها أو اندثارها عبر الزمن، وهذا الأمر يتطلب بحثا عميقا في الثقافة المعمارية التاريخية والمعاصرة[٢٤].

نلمس بوضوح مدى تأثير البيئة على مفهوم الهوية المعمارية، وكيف أن للبعدين (الزماني و المكاني) دورهما الفعال في إضفاء صفات معينة قد تحملها العمارة يمكن لها أن تكون عاملا أساسيا في صقل هويتها وبالتالي فأن عملية صياغة الهوية من خلال البحث عن صيغ جديدة لخصائص الزمن والمكان ستمنح العمارة صفة التجدد والاستمرارية لأنها ستواكب المجتمع والبيئة بتداعياتهما وستستجيب لمطالبهما.

العمارة الإسلامية – أسلوب مميز في صياغة الهوية من خلال البيئة

إن ظهور العمارة يحصل قبل اكتساب الهوية، ثم تكتسب الهوية بالتفاعل المستمر أو بتنشيط مجموعة عوامل داخل الهوية نفسها، ومثال ذلك العمارة الإسلامية التي اكتسبت هويتها بتفاعلها مع البيئة ضمن حدود وتعاليم الدين الإسلامي الحنيف، ولقد كانت الحضارة الإسلامية عبر التأريخ في علاقة مستمرة مع الحضارات المجاورة، اليونان والرومان غربا"، وفارس والهند شرقا" قبل الإسلام وبعده، بل إن إبداعات الحضارة الإسلامية هي نتيجة لرمز التفاعل بين الداخل الخارج، بين الموروث والوافد، بين النقل والعقل، بين علوم العرب وعلوم العجم، بين علوم الغايات وعلوم الوسائل، أو بلغة العصر بين (الأنا) و (الآخر)(٢٥).

إن العملية الجدلية بين التأريخ (الماضي)، والحاضر، والمستقبل، تشكّل من خلالها منظور حضاري أصيل وحديث عبرت عنه العمارة الإسلامية أيما تعبير، وكل خلل في هذه العملية يؤدي إلى تشكل ناقص أو مزيّف ينتهي إلى (جمود) يعطل تسارع النهضة وإلى ضياع جديد يربط المنظور الحضاري (ربطا" تابعيا") بنموذج مستعار منتزع من سياق تأريخي معّين، ولكن الحضارة الإسلامية التي ولدت ونمت في المجتمع العربي الذي كان مهدا" للحضارات ببيئته المميزة، لا يمكن أن تكون مرحلة نهضتها دون هوية حضارية أصيلة وحديثة معا"، سيّما وان هذه الحضارة قد ميّزت في الماضي باقترانها بالرسالة الإنسانية(٢٦).

ومن هنا سنتناول في هذا البحث نماذج مميزة من العمارة الإسلامية لتحليلها وصفيا وتوضيح أثر البيئة في تشكيلها ضمن محاولتنا لتحديد ملامح الهوية المعمارية من منظور بيئوي.

الدراسات التي تعرّضت لمفهوم الهوية المعمارية الإسلامية من خلال البيئة

تعدّدت الدراسات التي تناولت مفهوم الهوية المعمارية الإسلامية ضمن إطارها العام، وهي على كثرتها وإن تعرّضت لمفهوم الهوية وأساليب صياغتها وتحديدها ضمن إطار العمارة الإسلامية، إلاّ أن عددا قليلا منها قد تطرّق لموضوع البيئة وعلاقتها بالهوية متناولا الاعتبارات الشرعية في أغلب الأحيان، وستتم مناقشة قسم من هذه الدراسات بالنقد والتحليل:

(١) دراسة أنطونيو – ١٩٨٦:

حملت هذه الدراسة عنوان (نحو صيانة التراث المعماري)، وقد نشرت مترجمة إلى اللغة العربية في مجلة المهندسون، وتطرقت إلى الهوية المعمارية في ضوء مفهوم التراث مركزة على أهمية هذا المفهوم في صياغة وتشكيل الهوية، وقد تعرّضت بالنقد والتحليل إلى الهوية المعمارية الإسلامية وأسلوب صياغتها المميز مؤكّدة على أن من بين الوسائل الفعالة لصيانة التراث المعماري للأمم، الحفاظ على هويتها دونما تشويه أو تحوير، ولقد ذكر (أنطونيو) أن التطور الحديث الحاصل في بعض مناطق العالم الإسلامي قد ولّد انطباعا خاصا لدى البعض حول كون المدينة الإسلامية مدينة حديثة قد نشأت عمارتها واكتسبت عالميتها في العصر الحديث في حين أن الواقع مخالف لذلك، فقوة الإسلام في رسالته السمحة كان لها الأثر الكبير في تشكيل هيكل المدن الإسلامية منذ عهد النبوة الأول(٢٧).

تطرقت الدراسة إلى البيئة وأثرها في العمارة بشكل عام ثم في صياغة وتشكيل الهوية بشكل خاص، فالتكوين البيئي الذي امتازت به العمارة الإسلامية قد أكسبها عدة صفات كامنة في جوهرها تميزت بها عن غيرها من التوجهات على مستوى العالم، وخلصت إلى أن التراث المعماري الذي ندعو جميعا إلى الحفاظ عليه هو انعكاس لتاريخ الأمة في مراحل إشراقها عبر قرون عديدة وإن من أهم واجباتنا كمعماريين أن نحافظ على هذا التراث ليس فقط بصيانة الأبنية واستدامتها بل عن طريق المحافظة على الهوية المعمارية المميزة التي تعكس واقع حال المجتمع والبيئة وتساهم في ديمومة التواصل بين الماضي والحاضر وصولا إلى المستقبل.

(٢) دراسة الهذلول – ١٩٩٤:

جاءت هذه الدراسة تحت عنوان (المدينة العربية الإسلامية – أثر التشريع في تكوين البيئة العمرانية)، وقد تناولت القواعد العامة التي أرستها تعاليم الدين الإسلامي الحنيف إزاء نظرة الإسلام إلى الحواضر العمرانية متمثلة بالمدن وما تضمه من منشآت،وأولت الدراسة اهتماما مميزا بأثر التشريع في تكوين البيئة العمرانية، وكيف أن القوانين التشريعية تأتي متكاملة مع المتطلبات البيئية، وصولا إلى تحقيق الهدف الأسمى وهو خدمة الإنسان، ومن خلال استعراضها لأساليب البناء والعمران في المدن الإسلامية تطرقت الدراسة إلى بمنهج تحليلي وصفي إلى أثر بعض التقاليد العامة للمجتمع في تشكيل المدينة وكيف عملت الشريعة على تقنين هذه التقاليد دون حذفها لتضمن استمراريتها بعد صبغها بصبغة الإسلام خاصة عندما كان قسم منها يتعارض مع منهج الدين الإسلامي الحنيف في المناطق التي انضمت فيما بعد للدولة الإسلامية.

تم طرح وجهتي نظر من خلال هذه الدراسة لمناقشة التساؤل حول كون الحاضر ملزم بالتعامل مع الماضي في عملية توضيح علاقة العمارة بالبيئة والمجتمع، وجهة النظر الأولى كانت للتقليديين الذين عبّروا ببساطة عن اقتناعهم التام والعميق بشرعية الماضي واعتبروه دليلا ماديا للحاضر في كل إمكاناته، وهذه بالضرورة لا تتيح المجال أمام الابتكار والتجديد مع الحفاظ على الثوابت الشرعية، أما وجهة النظر الثانية فهي تلك التي يتبناها المستقبليون الذين يرفضون التسليم بسلطان الماضي ولا يعترفون بسطوته لتأصيل الحاضر مع التزامهم الضروري بقيم الدين الإسلامي وتعاليمه[٢٨]. وقد تأرجحت الدراسة بين هذا الطرح وذاك معلّلة أسباب الكثير من المشاكل التي تعاني منها عمارتنا اليوم وأسباب انهيار هويتها وفقدانها إلى عدم التوفيق بين المنهجين.

(٣) دراسة أكبر – ١٩٩٥:

حملت هذه الدراسة عنوان (عمارة الأرض في الإسلام – مقارنة الشريعة بأنظمة العمران الوضعية)، وقد تعرّضت لمفهوم البيئة وناقشته من حيث علاقته بالعمارة في العديد من الدول الإسلامية مركّزة على أن لهذا المفهوم الأثر الفعّال في تحديد الهوية المعمارية خاصة عندما يكون الأمر مرتبط بأبنية ذات صلة مباشرة بالمجتمع وبالحياة اليومية لأفراده كالمساكن والمساجد وغيرها، ومن منطلق أن لكل بيئة خصوصيتها المميزة مناخيا وفيزياويا فقد ناقشت الدراسة الاعتبارات الخاصة بأثر البيئة في التشكيل المعماري معتبرة أن الأشكال المعمارية التي أنتجتها العمارة الإسلامية فضلا عن كونها جاءت عاكسة لتعاليم الدين الإسلامي كذلك فقد تعاملت بنجاح مع البيئة ووظّفتها ضمن أدق التفاصيل.

وحيث أن المدن الإسلامية التقليدية قد اتهمت من قبل البعض (بعدم التنظيم الفضائي) كما أشارت الدراسة، فان عددا من الباحثين المسلمين قد حاولوا إيجاد مخارج لهذه الاتهامات من خلال طروحاتهم التي تعزي سبب التخطيط الشبكي للمدن الإسلامية إلى طبيعة المناخ وعوامل البيئة الصحراوية الحارة في أغلب المدن الإسلامية[٢٩].

وخلصت الدراسة إلى أن القوانين الشرعية الإسلامية التي ساهمت في بناء هذه الحضارة الإنسانية عبر العصور قد احترمت الإنسان والبيئة إلى أبعد الحدود، وعملت ضمن تعاليمها للحفاظ على البيئة وصيانتها واستدامتها.

(٤) دراسة عكاش – ١٩٩٨:

جاءت هذه الدراسة تحت عنوان (الثقافة وخطاب الهوية – نظرة فلسفية)، وتطرقت إلى مفهوم الهوية المعمارية المحلية حاملة إشارة ضمنية إلى العمارة الإسلامية باعتبارها المعبّر الصادق عن العمارة المحلية في بيئتنا، وقد عدّت الدراسة موضوع الهوية من أهم المواضيع المطروحة على الساحة المعمارية العالمية.

وعلى الرغم من كونها لم تضع معالم لتحديد الهوية من وجهة نظر محلية، إلاّ أن الدراسة تبنّت المفهوم عن طريق ربطه بالبعد الحضاري المرتبط بالثقافة، فعبّرت عن الثقافة بأنها تمثّل: " ذلك المركّب المتجانس من الذكريات والتصوّرات والقيم والرموز والتعبيرات والإبداعات والتطلّعات التي تحتفظ لجماعة بشرية تشكّل أمة أو ما في معناها، بهويتها الحضارية، في إطار ما تعرفه من تطورات بفعل ديناميتها الداخلية وقابليتها للتواصل والعطاء "، وبعبارة أخرى، إن الثقافة هي: " المعبّر الأصيل عن الخصوصية التاريخية لأمة من الأمم، عن نظرة هذه الأمة إلى الكون والحياة والموت والإنسان ومهامه وقدراته وحدوده، وما ينبغي له أن يعمل وما ينبغي له أن يأمل "[٣٠].

وخلصت الدراسة إلى أن للبيئة مساهمة فاعلة في تحديد الهوية خاصة عندما يرتبط الأمر بتلك الهوية التي تعكس حضارة المجتمع وتمثّل مقياسا لمدى رقيّه الثقافي والاجتماعي والاقتصادي كالهوية المعمارية.

(٥) دراسة العلفي – ٢٠٠٩:

حملت هذه الدراسة عنوان (الهوية الثقافية الوطنية وأثرها في خصائص الهوية المعمارية)، وهي دراسة تحليلية للهوية الثقافية من حيث علاقتها بالجوانب العلمية المعرفية والأكاديمية والتاريخية، وقد ناقشت الدراسة ثوابت الهوية الثقافية الوطنية وعلاقتها بالبيئة والمكان، ثم بالتفكير والسلوك على مر التاريخ، وتطرقت إلى موضوع الهوية المعمارية التي هي خلاصة للهوية الثقافية والحضارية.

لقد شكّلت العمارة من وجهة نظر الدراسة تعبيرا حيا وصادقا عن ثقافة المجتمع، إذ يلاحظ في أغلب الأنماط المعمارية التقليدية انعكاس أصيل وترجمة حقيقية لطبيعة المجتمع وتقاليده بأبعاده الاجتماعية والنفسية والاقتصادية، كذلك يظهر أثر البيئة واضحا ضمن هذا المجال من حيث محاكاة طبيعة وتكوينات الأرض أو حتى في عوامل المناخ بجوانبها المختلفة، وعلى هذا الأساس، فأن للمكان أثره الواضح في تحديد معالم الهوية المعمارية لأي مجتمع، وإن القاموس الجغرافي لا يضع حدا فاصلا بين المكان والمجال والحيز والفضاء، فالمحيط البيئي الذي تشغله جماعة معينة هو تعبير عن المحيط الحيوي الذي تنشط فيه تلك الجماعة وتعبر من خلاله عن هويتها، ومن هنا فأن خصائص الهوية المعمارية ارتبطت بالامتداد والأتساع بما تحمله من علامات جغرافية مرتبطة بتشكيل هوية المكان فضلا عن هوية الإنسان الثقافية التي ترتبط بحياته وطرق معيشته وأنشطته المختلفة[٣١].

وخلصت الدراسة إلى أن العمارة قد شكّلت جزءا أصيلا من الهوية الثقافية للمجتمع باعتبارها ملبية لاحتياجاته الأساسية فكانت الترجمان الصادق لطبيعة معيشة ذلك المجتمع عبر مراحل حياته بأبعادها المادية والروحية، ولذلك جاء النسيج العمراني لمعظم التجمعات الحضرية التقليدية منسجم ومترجم لهذه الحقيقة.

مشكلة البحث

يلاحظ أن الدراسات السابقة لم تساهم في وضع آليات واضحة لتحديد ملامح الهوية المعمارية الإسلامية بالرجوع إلى اعتبارات البيئة، وعلى هذا الأساس تم استخلاص المشكلة البحثية وتمثّلت بـ: " عدم وضوح آليات تحديد ملامح الهوية المعمارية بالرجوع إلى اعتبارات البيئة ".

هدف البحث

وضع آليات لتحديد ملامح الهوية المعمارية وفق اعتبارات البيئة.

منهج البحث

- التعرض لمعاني الهوية المعمارية وارتباطاتها الجدلية مع مناقشة وسائل وأساليب تحديدها على تعدد واختلاف مستوياتها.
- مناقشة عدد من الدراسات حول الهوية المعمارية الإسلامية
- وضع المشكلة البحثية ومناقشة أبعادها.
- معالجة حالات معينة ضمن نطاق المشكلة.
- تحليل تلك الحالات ومناقشة النتائج لحل المشكلة وصولا إلى الاستنتاجات.

وصف نماذج الدراسة

بخصوص النماذج التي ستعتمد للدراسة لدينا أربعة نماذج منتقاة ضمن مراحل مميزة ازدهرت فيها الحضارة الإسلامية وكان انعكاس ذلك الازدهار واضحا من خلال العمارة وتشمل هذه النماذج على وظائف مختلفة ففيها المسجد والحصن والقصر والضريح وهي كالتالي: مسجد الرسول (محمد) صلى الله عليه وسلم في المدينة المنورة – حصن (الأخيضر) في العراق – قصر (الحمراء) في غرناطة – مبنى (تاج محل) في الهند.

(١) مسجد الرسول (محمد) صلى الله عليه وسلم في المدينة المنورة:

هو المسجد الثاني الذي بناه الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) في السنة الأولى من الهجرة، وقد خطط (صلى الله عليه وسلم) أرض المسجد فجعل طوله مما يلي قبلته إلى مؤخرته مائة ذراع وعرضه مائة ذراع أو أقل قليلا، وجعل القبلة إلى بيت المقدس، وللمسجد ثلاثة أبواب، باب في مؤخرته وباب الرحمة والباب الذي كان يدخل منه (صلى الله عليه وسلم) وقد بلغت مساحة المسجد على عهد رسول الله محمد

(صلى الله عليه وسلم) ١٠٥٠ م٢ ، وقد استغرق بناؤه سبعة أشهر، وصلى فيه (صلى الله عليه وسلم) سبعة عشر شهرا نحو بيت المقدس ثم تم تحويل القبلة فأدخلت تغييرات على المسجد إذ أصبحت القبلة إلى الجنوب بعدما كانت إلى الشمال وكان من أهم هذه التغييرات تغيير معالم الأبواب[٣٢].

وهكذا استمرت معالم التوسعة والتغيير مرات عدة بحسب الحاجة إلى ذلك وما كانت تقتضيه الظروف في المدينة المنورة على عهد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ثم في عهد الخلفاء الراشدين والعهود التي تلت، وجدير بالذكر أن هذا المسجد كان مركزا سياسيا اجتماعيا اقتصاديا ودينيا للدولة الإسلامية الفتية فلم يكن مكانا للصلاة فحسب بل هو مقر للاجتماع والتباحث في الأمور التي تخص المسلمين[٣٣].

(٢) حصن (الأخيضر) في العراق:

يمثل حصن (الأخيضر) أحد أهم وأجمل الحصون التي شيدت في العصر العباسي، ويقع في الصحراء على بعد نحو ١٢٠ كم جنوب بغداد، المبنى محصن مستطيل التخطيط أبعاده (١٩٧ x ١٧٥) م وتتوسط كل واجهة من واجهاته بوابة عظيمة، وللحصن أربعة أبراج ضخمة عند الأركان تتوسطها عشرة أبراج مستديرة عند كل ضلع من أضلاعه، ويضم الحصن مبنى القصر الملاصق لسوره الخارجي الشمالي فضلا عن المسجد وعدد كبير من القاعات والغرف، وان من أهم ما يميز مخططه الأفقي فناؤه الوسطي الذي تشرف عليه القاعات الرئيسية، ويلاحظ في هذا المبنى وضوح جانبين للتفاعل مع البيئة بما يعكس هوية العمارة أولهما استخدام المواد البنائية المحلية المتوافقة مع البيئة والمعبرة عنها كون البناء يقع في

الصحراء، وثانيهما تلك الاعتبارات الأمنية من حيث الفخامة والتحصين بما لا يؤثر على أساليب المعالجات المناخية للبيئة الحارة والجافة[٣٤].

(٣) قصر (الحمراء) في غرناطة:

يعد قصر (الحمراء) واحدا من أشهر القصور الإسلامية في بلاد الأندلس، ومن الملاحظ أن ذلك الارتباط الوثيق الذي بقي للدولة الإسلامية المصغرة في الأندلس مع دولتها الأم في بلاد الشام قد ترك بصماته الواضحة في تصميم القصر، إذ تأثرت الطرز المعمارية في بلاد الأندلس بشكل عام بتلك الطرز التي ظهرت في عهد الدولة الأموية ببلاد الشام، ولم تكن هذه الأخيرة إلا متأثرة كل التأثر بما ساد من عمارة بيزنطية في تلك البقاع قبل مجيء الإسلام إليها، وقد تميزت عمارة القصور الإسلامية في بلاد الأندلس بدقة التنفيذ وروعة الأسلوب والاهتمام بالتزويق ألزخرفي إلى حد لم يظهر له مثيل قط في أية حضارة أخرى، وعلى الرغم من ظهور معالم الترف في بعض جوانب القصر إلا أن روح البساطة في التعامل مع فخامة البناء أعطت للعمارة الإسلامية هوية متفردة في هذا المجال، فتصميم القصر ملتزم بتعاليم ومبادئ الدين الإسلامي الحنيف من حيث تحقيق بعض المفاهيم الوظيفية كالخصوصية وغيرها، وهو مراعي في نفس الوقت لاعتبارات البيئة وتقلباتها مع توفير الراحة النفسية والمناظر الطبيعية الخلابة، والقصر على ثلاثة مجموعات أولها (المشور) وهي قاعة كان السلطان يتولى فيها أمور الحكم ويلتقي بالرعية وهي بمثابة قاعة الحكم الثانوية، والمجموعة الثانية هي (الديوان) حيث الاستقبالات الرسمية لوجود قاعة العرش الفخمة، أما المجموعة الأخيرة فتسمى (الحريم) وقد خصصت لمخادع السلطان وأهله، ويلاحظ في هذا القصر وجود مراعاة للعوامل المناخية من حيث الأفنية والساحات فضلا عن روح البساطة في إيجاد الحلول المعمارية الناجحة على الرغم من فخامة البناء[٣٥].

(٤) مبنى (تاج محل) في الهند:

يعكس مبنى (تاج محل) في الهند نموذجا مميزا لعمارة الأضرحة الإسلامية، فقد بناه الإمبراطور المغولي (شاه جيهان) لزوجته (ممتاز محل) سنة (١٦٤٨) م، وهو مبنى عملاق يشرف على مدينة (أكرا) الهندية التي كانت عاصمة المغول في ذلك الحين، ارتفاع المبنى (٧٣) م، والبناء مغلف بالرخام الأبيض وهو قائم على منصة مربعة الشكل وقد كتبت عليه آيات القرآن الكريم باللون الأسود مع تزيين الجدران بمختلف أنواع الزخارف، كما تحيط بالمبنى من كل جانب مجموعة من القباب الكبيرة والصغيرة غير المتصلة والتي يبلغ ارتفاع بعضها (٤١) م، كذلك تحيط بالمبنى حديقة كبيرة تعتبر قمة في التخطيط والتنسيق وتضم النافورات الجميلة والأشجار العالية المشكلة بطريقة هندسية فريدة[٣٦].

نتائج التحليل الوصفي

من خلال مجمل ما سبق وبعد وصف النماذج المعمارية وتحليلها تبرز عدة جوانب نجحت العمارة الإسلامية عن طريق استثمارها في تحديد أسلوب مميز للتعامل مع البيئة وتحديد الهوية من خلالها وكما يلي:

١- استخدام المواد البنائية المحلية المتوافقة مع البيئة والمعبرة عنها.

٢- التحلي بروح البساطة في إيجاد الحلول المعمارية الناجحة مع فخامة البناء، وعلى الرغم من كون تاج محل والحمراء غير بسيطان معماريا كما يبدو للعيان، إلا أن المتعمق في مكنوناتهما الداخلية يلمس ذلك الحس المرهف وتلك الروح البسيطة التي أبدع فيها المعمار المسلم أيما إبداع.

٣- مراعاة العوامل المناخية على مستوى المخطط الأفقي من حيث توزيع الأفنية والساحات، و التفاعل الناجح مع البيئة بإدخال النبات والماء والضوء في المباني كعناصر تضفي الجمال على المكان، وتشهد بعظمة الله سبحانه وتعالى وإبداعه في خلقه.

٤- الاعتبارات الأمنية من حيث المتانة والتحصين بما لا يؤثر سلبا على المعالجات المناخية، وحتى أن مسجد الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) الذي كان قمة في البساطة لم يخل من هذه الاعتبارات بما توفر من إمكانات بسيطة.

٥- جمالية وخفة الأسلوب التزييني للجدران والأسقف الذي حتى وان وصل إلى حد الترف والإسراف متقاطعا مع تعاليم الشريعة الإسلامية السمحاء في بعض الأحيان إلا أن هدفه المباشر هو تحقيق النجاح لمعالجة معمارية معينة بصرية أو بيئية كتدرج الضوء وإزالة الرتابة والملل فضلا عن توفير التناغم الصوتي بتدرج الموجات الصوتية وانعكاساتها المتكررة بأسلوب فريد ودقيق إنما ينم عن مدى تطور العمارة وإتقان العمل.

٦- العمارة هي نتاج لفعل الإنسان، والفعل الإنساني تحكمه مجموعة من القيم التي تختلف باختلاف الثقافات، فلا يمكن فهم قيمة معينة واستيعابها إلا ضمن إطارها الاجتماعي أو الثقافي، والعمارة الإسلامية تتحدث عن قيمها بنفسها معبرة عن هويتها ومتفاعلة بتداخل ايجابي مع بيئتها، فلكل عنصر هدف ولكل فضاء وظيفة تحكمها قيمة معينة، ولقد جاء الإسلام بثلاثة أصناف من القيم، (ربانية) هي في الغالب معنوية وباطنية تخاطب الضمير ونجد الكثير منها متجسدا في المدينة المنورة بمفهومها المادي الفيزيائي، (وإنسانية) احترمت الإنسان وجعلته في المقدمة عندما يرتبط الأمر بتوفير المأوى وتحقيق الراحة، وقد ظهر ذلك واضحا في مختلف العصور التي تلت عصر النبوة الأول، ثم قيم (بيئية) يمكن اعتبارها سلوكية في بعض الأحيان كونها ترشد الإنسان إلى كيفية التعامل مع الكون والطبيعة انطلاقا من التصور الإسلامي للوجود، وقد تحولت الكثير من هذه القيم إلى أعراف وتقاليد توجه أفعال المجتمع والأفراد نحو كل ما هو ايجابي.

٧- إحياء مبدأ الاقتصاد في الاستهلاك والإحسان في الاستعمال، فالأول هو التصرف وفق الحاجة ضد الإسراف والتبذير، والثاني هو التصرف الأمثل والفعال في استعمال الأشياء دونما مبالغة ومغالاة.

الاستنتاجات الخاصة بالبحث

توصل البحث إلى جملة استنتاجات يمكن إجمالها بما يلي:

١- أشار هذا البحث إلى أن من أهم الأمور التي ساعدت على إغناء ذلك التواصل الذي حصل بين أقاليم الدولة الإسلامية المترامية الأطراف – عبر تلك المراحل الزمنية التي تناولتها الدراسة – وحدة الفكر والعقيدة، ثم وحدة الثقافة والبعد الحضاري، على الرغم من اختلاف عوامل المناخ وتداعيات البيئة حسب طبيعة كل إقليم، ونلمس ذلك واضحا من خلال تركيبة وظيفية فريدة على تعدد واختلاف أنواع الأبنية، فالناظر إلى نتاجات العمارة الإسلامية والمتفحص لخصائصها سيدرك بعد التحليل أن الأصل الذي قامت عليه هذه الأبنية إنما أساسه نظام مدروس مغطى بهالة من المؤثرات التي فرضتها خصائص كل منطقة وطبيعة كل مرحلة زمنية، لكن هذه الهالة سرعان ما تزول بعد أن يجد البحث في هذا المضمار نفسه يتعامل مع حالة واحدة أساسها تعاليم الدين الإسلامي الحنيف.

٢- لقد أشر هذا البحث ظهور موقف حضاري فريد ومتبصر له أبعاده المرنة والموزونة التي تميزت بها العمارة الإسلامية عن طريق احتكاكها بحضارات الأمم الأخرى والأخذ منها وعنها لكل ما هو مفيد، فلم يكن ذلك مجرد اقتباس، لكنه هضم وتمثل، وتطعيم مرسوم، حقق مردوده الايجابي الفعال ليس على مستوى الحضارة الإسلامية فحسب ولكن عبر نطاق الحضارات جميعا، فظهرت حضارة واسعة في تلك المناطق التي انضمت إلى الدولة الإسلامية، حملت بين ظهرانيها تراثا ضخما لا زلنا إلى اليوم نعايشه ونتعامل معه بعد أن صبت جداول كثيرة في نهر الحضارة الإسلامية مما قاد إلى نهضة كبرى في مختلف المجالات.

٣- وفي ميدان الهوية وتبلورها، ظهر لنا ذلك التكامل المدروس مع الطبيعة ومحاكاتها والاقتباس منها من خلال النماذج التي جاءت متفاعلة مع البيئة ومعبرة عنها فصيغ لنا بذلك نموذج حضاري مميز له هويته عبر العصور.

٤- يتضح لنا جليا في هذا البحث أن تلك القيم والتعاليم السمحة التي اعتمدها الدين الإسلامي قد ساهمت في ضبط مسألة التمدن والحياة الجماعية التي التزم بها المجتمع الإسلامي منذ ولادته في المدينة المنورة واستمرت في التأثير على مر التاريخ الحضري الإسلامي، وفي مقابل ثبات تلك القيم كانت الاستجابات المادية تختلف باختلاف المنطقة والأزمنة والأعراف.

الاستنتاجات العامة

أفرز هذا البحث عدة استنتاجات عامة ذات صلة بموضوع الهوية المعمارية من حيث علاقتها بالبيئة تتضح من خلال ما يلي:

١- لما كانت هندسة العمارة تمثل فنا وظيفيا فضلا عن كونها فنا قائما على منطلقات إبداعية وجمالية، فقد جاءت نتاجات العمارة عبر العصور لتؤكد على أن الإبداع إنما يتحقق من خلال تلبية الحاجات الوظيفية جنبا إلى جنب مع الحاجات الأخرى وفي مقدمتها متطلبات البيئة واعتباراتها وبذلك يتحقق النجاح المنشود للعمارة.

٢- إن أغلب الطرز المعمارية عبر التأريخ قد كونت لها مفاهيم جمالية تتبع أساليب الفن الخاص بمجتمعاتها وبفلسفة وثقافة تلك المجتمعات، ولكن في العمارة الإسلامية جاءت تلك المفاهيم لتحدد جانبا منسجما بحد ذاته مع الثوابت المناخية والتقاليد وروح الحضارة من جهة، وملتزما بأحكام وتعاليم الإسلام الحنيفة من جهة أخرى، فكان التكامل واضحا بين الاثنين.

٣- إن الهوية المعمارية هي جزء من هوية المجتمع ضمن بيئة معينة، وهي الأكثر تعبيرا عن مكونات البيئة الفيزياوية للمجتمع، إذ تعكس صورة ذلك المجتمع وهويته الوطنية، كذلك فأن الهوية المعمارية مرتبطة ارتباطا وثيقا بالبيئة على تعدد واختلاف أنماط العمارة بحسب متطلبات واعتبارات البيئة ضمن مستوياتها الثقافية والمكانية، وهنا يبرز دور المجتمع في الحفاظ على هذه الهوية.

٤- إن العمل على إعادة إحياء جملة من القيم الأصيلة التي غابت عن عمارتنا المعاصرة اليوم يجب أن يكون في مقدمة واجباتنا كمعماريين، فلقد فقدت مدننا منذ مطلع القرن الماضي عدة مرتكزات أساسية لمنظومتها القيمية فأضحت على خطر كبير، وبغض النظر عن مجموعة العوامل المتعددة المسببة لهذا التحول ومعظمها معروف، فأن تداعيات المدينة المعاصرة بهويتها الدخيلة – التي لا تعير اهتماما للبيئة ولا للمجتمع – قد وقفت سدا منيعا

أمام كل محاولة للتصحيح، ولكننا سنبقى نتطلع إلى تلك الصورة الجديدة التي نتأملها مستقبلا لمدينتنا، والتي يجب أن تكون معبرة عن هويتنا.

المصادر

١- الديري، عبد الفتاح، " الذكاء والحضارة "، بحث منشور في مجلة الفيصل – العدد السابع – كانون الأول ١٩٧٧ – ص ١٤.

٢- الجابري، علي حسين، " الحوار الفلسفي بين حضارات الشرق القديمة وحضارة اليونان "، ضمن سلسلة كتب شهرية تصدر عن دار آفاق عربية للصحافة والنشر، بغداد، ١٩٨٥، ص٢٢.

٣- نفس المصدر السابق، ص٢١٤.

٤- حبّي، يوسف، " جدلية الحضارة والفلسفة "، بحث منشور في ورقة الندوة الفكرية لقسم الدراسات الفلسفية في بيت الحكمة التي جاءت تحت عنوان: الفلسفة – قضايا وإشكالات – سلسلة المائدة الحرة – تسلسل ١٨، بغداد، ١٩٩٨، ص٣٢.

٥- ساري، سالم ، " الذات العربية المتضخمة: إدراك الذات المركز والآخر الجوّاني "، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٩، ص٣٧٣.

٦- فارّو، جان، " الآخر بما هو اختراع تأريخي "، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٩، ص٤٥.

٧- حنفي، حسن، " جدل الأنا والآخر: دراسة في (تخليص الإبريز) للطهطاوي "، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٩، ص٢٨٣.

٨- البزري، دلال، " الآخر: المفارقة الضرورية "، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٩، ص٩٩.

٩- ألتير، مصطفى عمر، " البعد الجغرافي وصورة الآخر: مقاربة أمبيريقية"، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٩، ص٤١٩.

١٠-كامل، عادل، " الهوية الفنية: إشكالية التنوع "، بحث منشور في مجلة آفاق عربية – العدد الحادي عشر – تشرين الثاني – ١٩٩٢ – ص ١٠٥.

١١-أكبر، جميل عبد القادر، " عمارة الأرض في الإسلام – مقارنة الشريعة بأنظمة العمران الوضعية" ، دار البشير، عمان – الأردن، ١٩٩٥، ص١٩.

١٢- نفس المصدر (٤)، ص٥١.

١٣- الهذلول، صالح بن علي، " المدينة العربية الإسلامية –أثر التشريع في تكوين البيئة العمرانية "، دار السهن، الرياض – المملكة العربية السعودية، ١٩٩٤، ص٣.

١٤- الكبيسي، عمران، " الحداثة وأزمة المصطلح النقدي "، بحث منشور في مجلة آفاق عربية – العدد السابع – تموز – ١٩٨٩ – ص ٦٧.

١٥- نفس المصدر (٨)، ص١٠٧.

١٦- الجابري، محمد عابد، " التراث والحداثة – دراسات ومناقشات "، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٩، ص١٧.
١٧- ماهر ، مصطفى، "نحن وتراث العصور الوسطى : بين الثقافة العربية والثقافة الألمانية "، بحث منشور في مجلة الفيصل – العدد ١٣٣ شباط – ١٩٨٨ – ص١٣٣.
١٨- نفس المصدر (١٦)، ص١٠٤.
١٩- الأسدي، أسعد غالب، " حداثة العمارة العربية وتراثها "، بحث منشور في مجلة الهندسة والتكنولوجيا – المجلد 15 – العدد ٦ – ١٩٩٤ – ص٣٧.
٢٠- نفس المصدر السابق، ص٣٩.
٢١- حبّي، يوسف، "الخلود في تراث وادي الرافدين والفكر المعاصر "، بحث منشور في مجلة آفاق عربية – العدد الرابع – كانون الأول – ١٩٨٤ – ص١١٠.
٢٢- عكاش، سامر، " الثقافة وخطاب الهوية: نظرة فلسفية "، بحث منشور ضمن أوراق المؤتمر المعماري الأول لنقابة المهندسين الأردنية، عمّان، ١٩٩٨، ص١.
٢٣- عبد اللطيف، رافد، " البيئة المكانية في مفهوم: النظام – النسق – النموذج وفق نظرية المعرفة"، بحث في مجلة البحث العلمي والتكنولوجيا – المجلد ١٦ – العدد ٨ – ١٩٩٧ – ص٢٨٢.
٢٤- النعيم، مشاري، " الحديث في الهوية المجتمعية للمعماري العربي "، مجلة البناء – العدد ١٨٩ – ٢٠٠٦، ص٢.
٢٥- نفس المصدر (٧)، ص٢٨٥.
٢٦- فرح، الياس، "مقدمة في دراسة المجتمع العربي والحضارة العربية "، منشورات وزارة الثقافة والأعلام الجمهورية العراقية، بغداد، ١٩٧٩، ص٢٧.
٢٧- أنطونيو، جيم، "نحو صيانة التراث المعماري "، بحث منشور في مجلة المهندسون – العدد ١٦ – آذار، ١٩٨٦، ص٢.
٢٨- نفس المصدر (١٣)، ص٥.
٢٩- نفس المصدر (١١)، ص٢٣٩.
٣٠- نفس المصدر (٢٢)، ص٥.
٣١- العلفي، محمد، " الهوية الثقافية الوطنية وأثرها في خصائص الهوية المعمارية "، بحث مقدم إلى

المؤتمر الهندسي الثاني – كلية الهندسة – جامعة عدن – الجمهورية اليمنية، ٢٠٠٩، ص٣.

٣٢- مصطفى، صالح لمعي، " المدينة المنورة –تطورها العمراني وتراثها المعماري "، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨١، ص٥٠.

٣٣- نفس المصدر السابق، ص٥٣.

٣٤- سامح، كمال الدين، " العمارة في صدر الإسلام "، منشورات مطبعة مصر القاهرة، ١٩٦٤، ص٨٣.

٣٥- كونيل ، آرنت، " الفن الأسلامي "، ترجمة أحمد موسى، دار صادر للنشر، بيروت، ١٩٦٦، ص١٨.

36- Palmes, J. C.; " A History Of Architecture ", University Of London – The Athlone Press, London, 1975, p. 72.

٣٧- نفس المصدر (٣٢)، ص٥١.

٣٨- نفس المصدر (٣٢)، ص٥٢.

39- Michell, G. ; " Architecture Of The Islamic World " , Thames And Hudson, London, 1996,p.210.

٤٠- سلمان، عيسى وآخرون، "العمارات العربية الإسلامية في العراق- الجزء الثاني (قصور و مشاهد) "، منشورات وزارة الثقافة والأعلام، بغداد، ١٩٨٢، ص ١٩.

٤١- مهدي، علي محمد، " الأخيضر "، وزارة الثقافة والاعلام – مديرية الآثار العامة، بغداد، ١٩٦٩، ص٩٦.

٤٢- لومبير، إيلي، " تطور العمارة الإسلامية في اسبانيا والبرتغال وشمال أفريقيا "، ترجمة جليان عطا الله، دار آسيا للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٥، ص ١٩٧.

43- Papadopoulo, A.; " Islam And Muslim Art ", Harry N. Abrams, INC. Publishers, New Yourk, 1979.

٤٤- نفس المصدر (٣٩)، ص٢٦٦.

٤٥- نفس المصدر (٣٦)، ص٤٥٢.

المخططات والصور التوضيحية

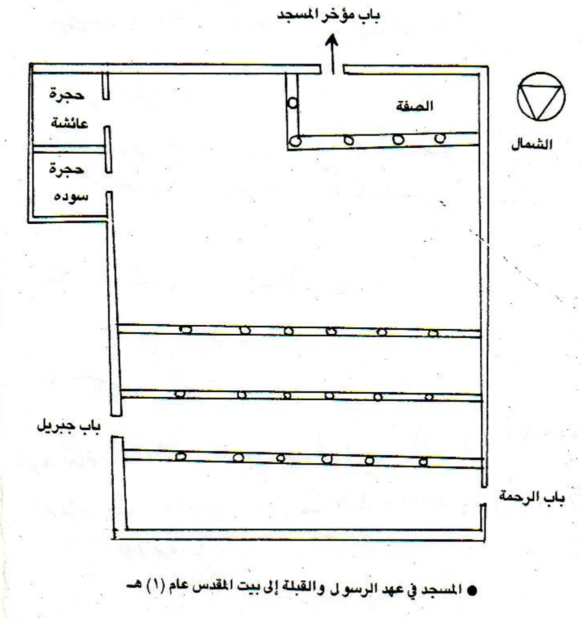

لوحة (١):- مسجد الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) (المخطط الأول)[٣٧].

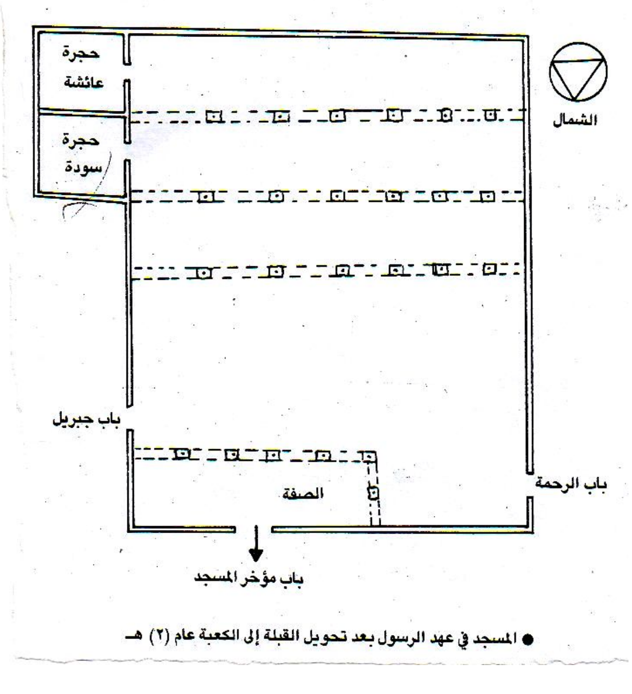

لوحة (٢):- مسجد الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) (المخطط الثاني)[٣٨].

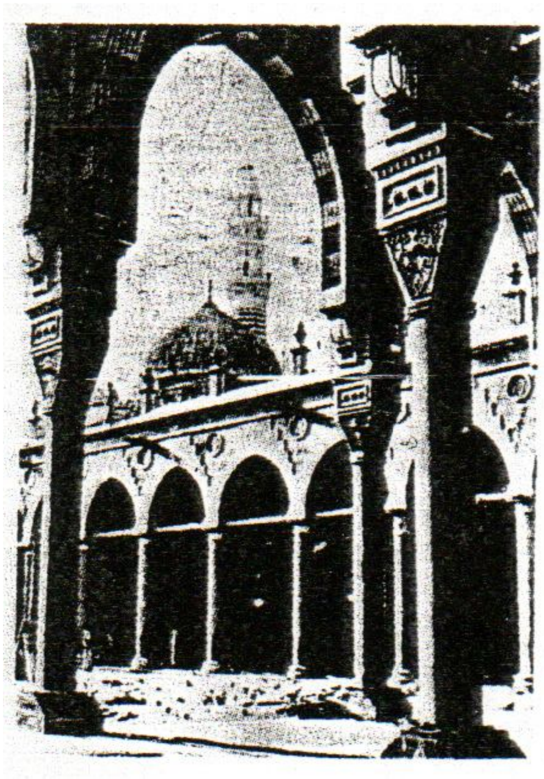

لوحة (٣):– صورة لمسجد الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) [٣٩].

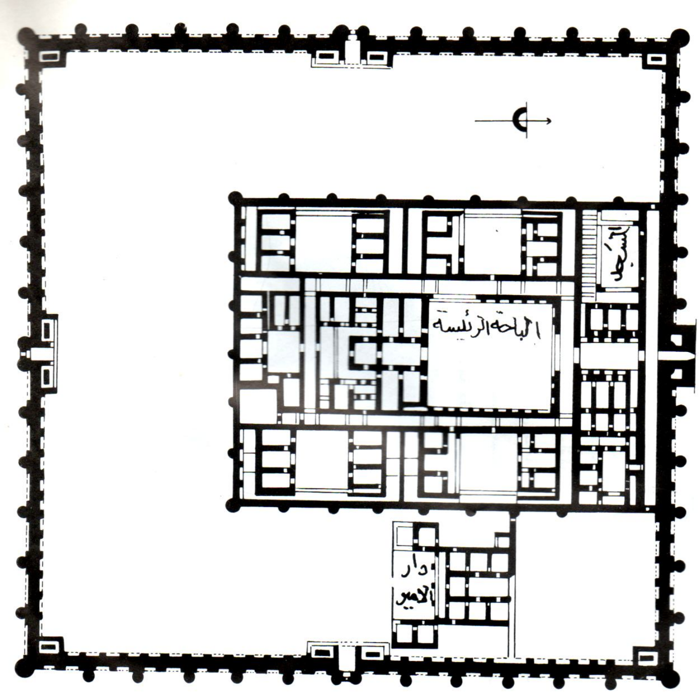

لوحة (٤):– مخطط حصن (الاخيضر) [٤٠].

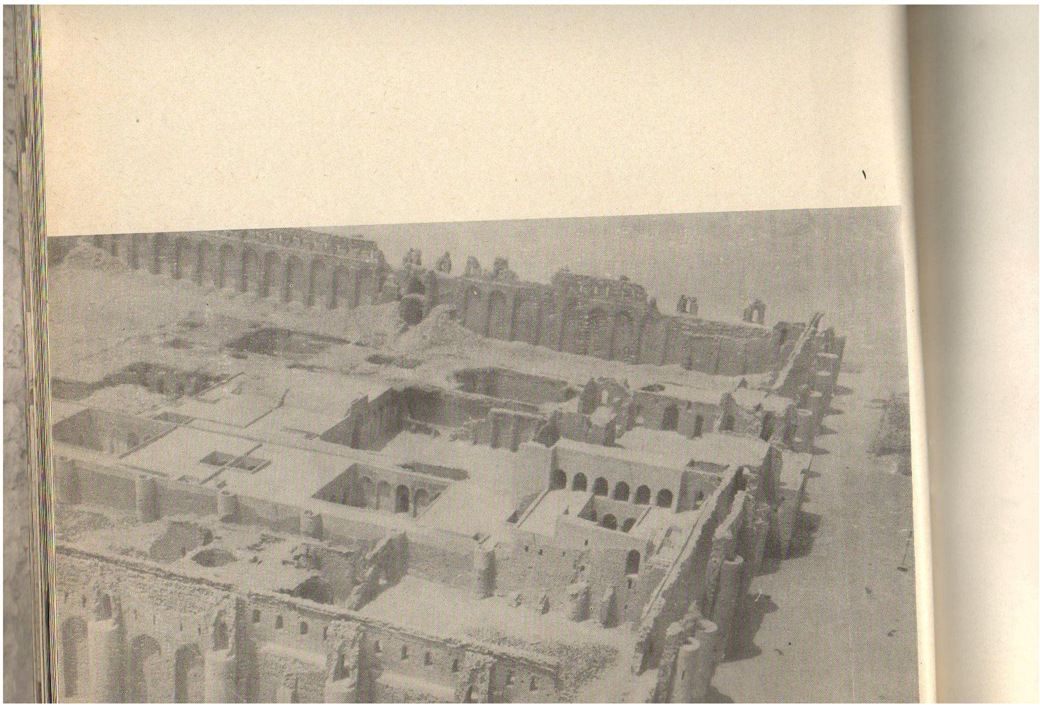

لوحة (٥):- حصن (الأخيضر) في العراق[٤١].

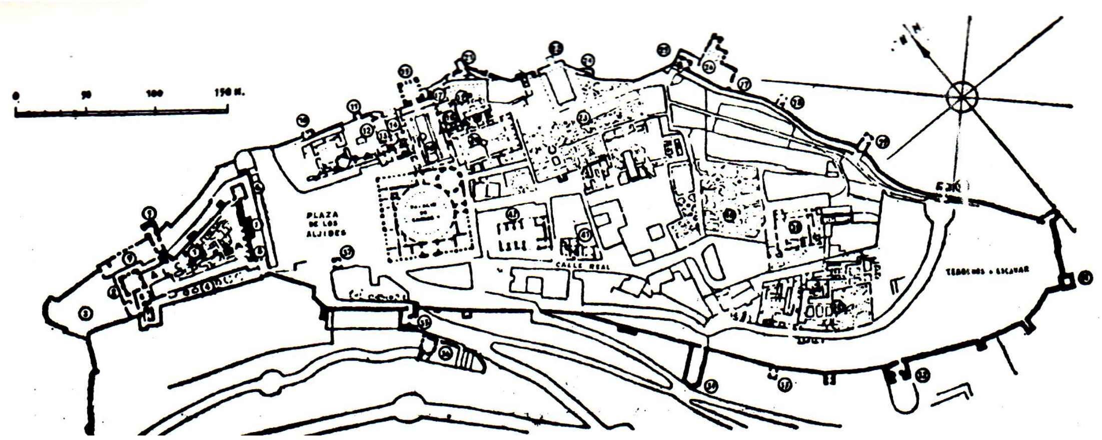

لوحة (٦):- مخطط قصر (الحمراء) في غرناطة [٤٢].

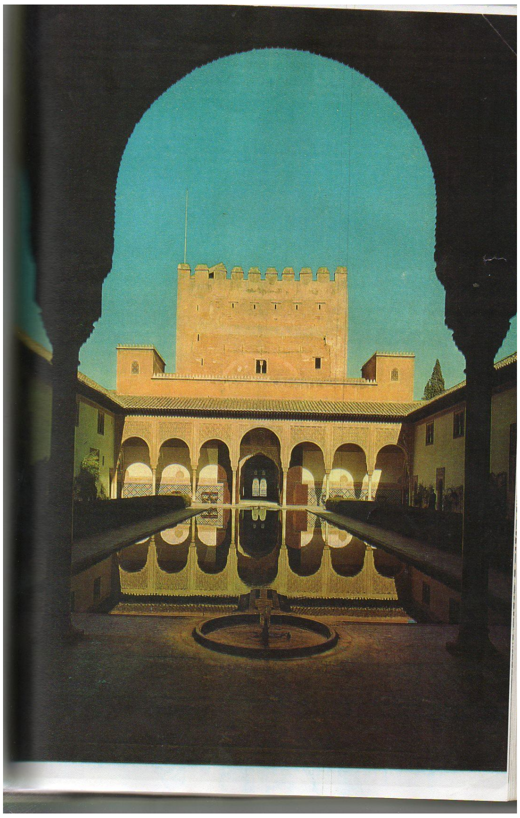

لوحة (٧) :-قصر (الحمراء) في غرناطة [٤٣] .

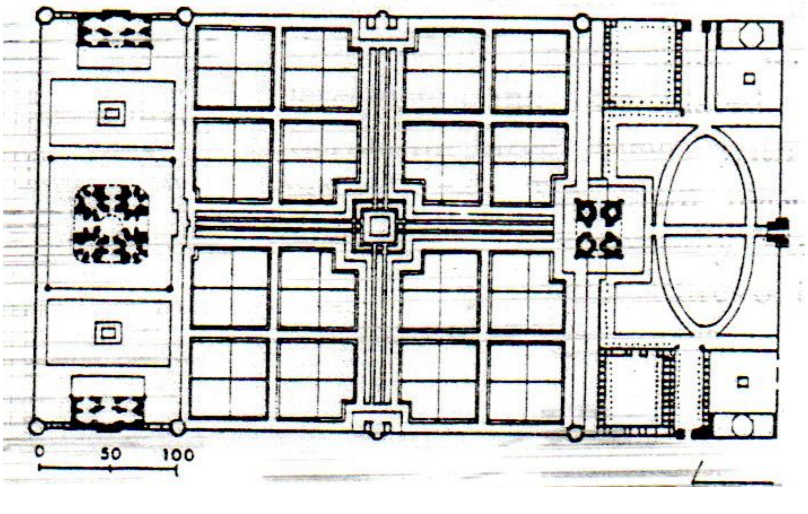

لوحة (٨):- مخطط مبنى (تاج محل)[٤٤] .

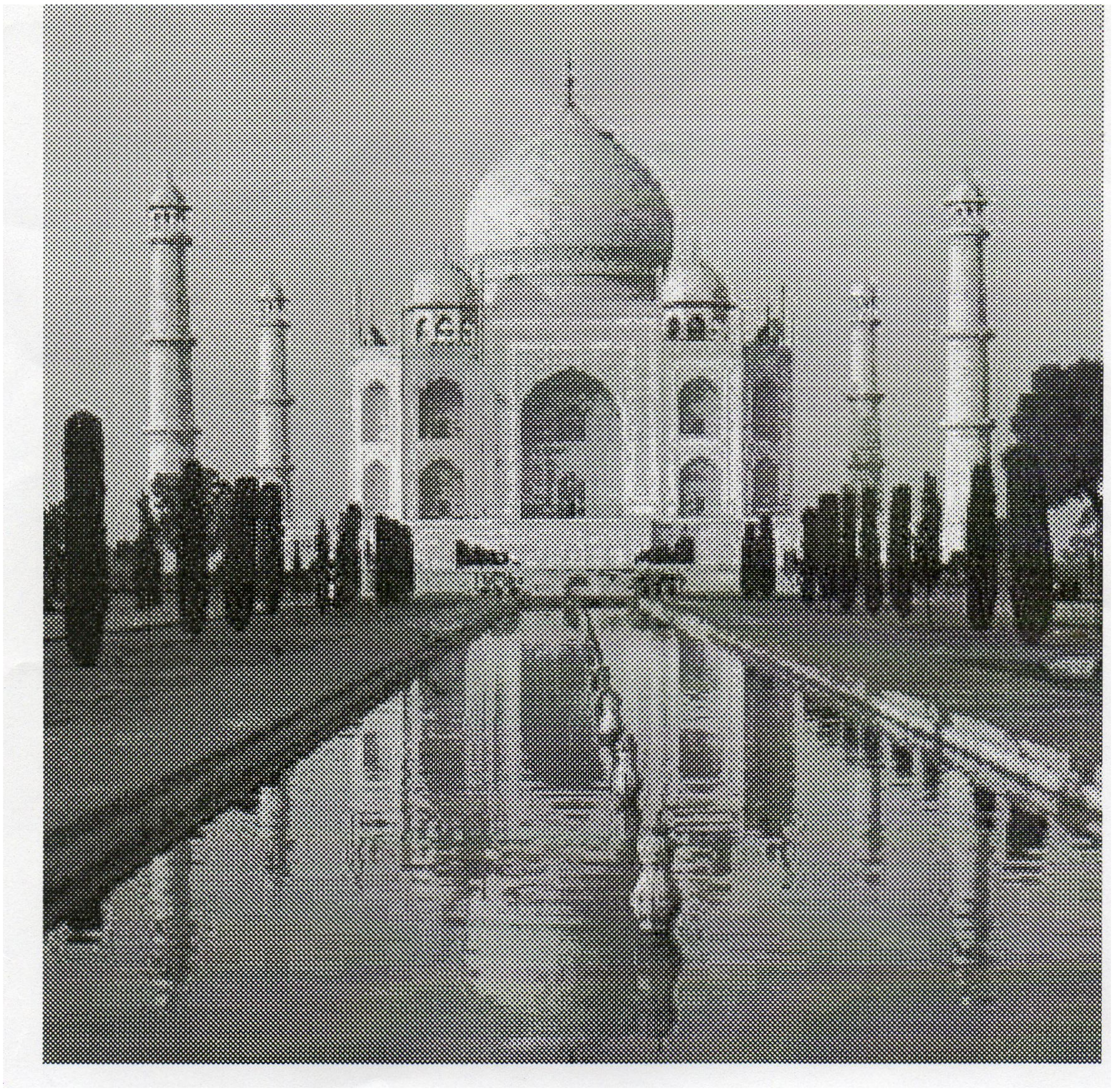

لوحة (٩) :– مبنى (تاج محل) في الهند[٤٥] .

Determining the Architectural Identity Features from environmental Point of View

Dr.Omer H.Karufa
Arctecture department, Engineering college, Al-Mousel university

ABSTRACT:- Architecture as the other cognitive fields was not separated from the people's life, directions and aspirations on their different levels and cultures, it occupies a fantastic position because of its direct relationship with the society's life, so it grew and flourished in different areas of the world, and it has developed according to certain bases and conceptions which were approved by different and sequenced eras.

As the architecture is considered a cultural production has its direct relationship with the environment, it can be dealt with as a true expression of the cultural interaction among nations, this interaction which enriched the humanity with different creative productions.

The current research has focused on the problem of *"Unclear mechanisms of determining the architectural identity features according to the environment's considerations"*, and it has determined a clear aim connects with the problem and it dealt: *"Making mechanisms of determining the Islamic architectural identity features according to the environment's considerations"*, the researcher has headed for achieving this aim, through knowing the concept of identity and its correlated vocabularies which affect in the architectural identity reaching to determining the identity relationship with the environment for being a factor which influences this field, as well as, the current research has dealt with the Islamic architecture experiment and how it was distinguished in this field, through showing and analyzing selected samples according to a certain method.

The importance of this subject has been appeared through the final conclusions which are related with the research's aim and they were formed a clear image about the cultural interaction made by the dialogue among the nations through many eras and how it has participated clearly in determining the architectural identity features according to the environment's considerations for each region or area.

Key Words: Architectural Identity, Architectural Environment, Cultural Interaction.